

بين جبران والريحاني

بقلم نور الجندجي

فقد وجد ان القصة لا تعطيه المجال الفني وقد وصفت اشخاصه من النقاد بانهم تنقصهم دقة الحيك والتصوير الواقعي وكان قد افتن بالشعر المنشور فاتجه اليه وأنهى حياته القصصية . وكان عام ١٩٠٣ قد بدأ ينشر فسي جريدة المهاجر مقالات من الشعر المنشور وظل يواصل عمله حتى استوى فنه وبرز فيه وبلغ القمة عام ١٩٢٠

اما الريحاني فقد كان في هذه السنة بالذات قد تحول صنفاً آخر واغرم بالقومية العربية ووجه قلمه اليها ، ورصد جهوده للقيام بعمل ادبي كبير قوامه الرحلة في العالم العربي وفي الجزيرة العربية بالذات .

وكان قد عاد الى الوطن العربي من المهجر وازممع جولة طويلة بل جولات في هذا المجال .

وهنا برز خلاف جديد في تيار التفكير بينه وبين جبران فقد اتجه الى الادب القومي بينما ظل جبران في اتجاهه العاطفي الوجداني الحر المكشوف .

واذا كان جبران قد اتخذ طريق الشعر المنشور مقلداً الريحاني - فانه قد انفرد فيه باساليب جديدة وطريقة خاصة هاجمها الريحاني وكانت واحدة من اسباب الخلاف بينهما .

وقد تعرض عيسى الناعوري وجورج صيدح والبرت الريحاني لبواعث الخلاف بين الريحاني وجبران على اساس التقدير الواضح بان الريحاني كان اسبق في الهجرة واسبق في ابداع فن الشعر المنشور .

يقول عيسى الناعوري ان امين الريحاني كان اشد خصوم جبران في حياته ويرى انها بسبب عقائدي قومي ثم تطورت واشتدت واصبحت ادبية وشخصية . فالريحاني واقعي في الادب ، حمل رسالة القومية العربية الصريحة ووقف نشاطه عليها . اما جبران فقد كان لبنانياً اقليمياً وكان خصماً لكثير من دعاة القومية العربية ومع ذلك فانه عندما وضع ميخائيل نعيمة كتابه عن جبران ١٩٣٤ ثار الريحاني في وجهه ثورة عنيفة ونشب بين الريحاني ونعيمة نقاش ادبي بلغ درجة من العنف في صحف لبنان السيارة ، وكان الريحاني مدافعاً عن جبران بوجه ما أثار نعيمة من اتهامات .

اما جورج صيدح فيرى ان صراحة الريحاني الخشنة كانت سبباً في اختلافه مع جبران وابتعاده عنه . كان ينعي على جبران ونعيمة هدر طاقتهما الادبية الكبيرة في فلسفات روحانية بينما الاوضاع العربية في حاجة ملحة الى الاصلاح .

ويقول البرت الريحاني ان الصداقة بين جبران

في ذكرى جبران الثانية والثلاثين (٩ - ٤ - ١٩٣١) يمر بالبال « مولد » الادب المهجري في بوسطن ونيويورك وظهور الرابطة القلمية التي اشترك فيها اعلام القلم المهاجرون ما عدا (امين الريحاني) الذي تخالف عن الاشتراك في هذه الهيئة الادبية التي كانت من بعد معلماً من معالم الحركات الادبية الحديثة والتي كانت بعيدة المدى في تلوين الادب العربي . ذلك ان مدرسة المهجر كانت ذات اثر واضح في ادب الجيل كله . اثرت في جميع ادباء لبنان بلا استثناء ، وتأثر بها شعراء ابولو في مصر والشايبي في تونس والتيجاني في السودان وغيرهم من شعراء الجزائر أمثال محمد العيد آل خليفة وان كان ذلك مبحثاً طويلاً ليس هذا مجاله .

غير ان دلائل الخلاف بين جبران والريحاني كانت واضحة طوال حياتهما ، وهي مهما قيل في بواعثها فاننا نراها تمثل صورة واضحة لادب جديد مندفع يجري في تيارين واضحين : احدهما تيار الريحاني والاخر هو تيار جبران ولذلك كان لا بد ان يقع الخلاف .

واذا كان علينا ان ننظر الى الامر من اعلى فأننا نجد ان الريحاني سبق جبران الى الهجرة وسبقه الى انشاء هذا اللون الجديد من التعبير المغاف بالظلال والاضواء . فقد هاجر جبران عام ١٨٨٨ ولم يكن يبلغ سن الثانية عشرة ثم عاد في الثانية والعشرين (١٨٩٨) غير انه لم يلبث ان عاد الى المهجر مرة اخرى والتقى عام ١٩١٠ بجبران في باريس ومنها ذهباً الى لندن ثم عاد امين الى نيويورك واستقر جبران حيناً في باريس الى ان عاد الى المهجر الامريكي عام ١٩١٢ واستقر به .

وكان امين الريحاني قد بدأ يكتب فنه الجديد في الشعر المنشور في هذا الوقت المبكر متأثراً بالشاعر الامريكي وولت ويتمان وعرفه الناس قبل جبران .

اما جبران فقد بدأ يكتب عام ١٩٠٥ حين اصدر كتابه (الموسيقى) واتبعه بكتابه : عرائس المروج والارواح المتمردة .

ثم تحول ثمة عن اسلوبه الى الشعر المنشور بكتابه « دمعاً وابتساماً » الذي بدأ بنشره عام ١٩٠٣ ونشره في كتاب عام ١٩١٤ . وفي سنة ١٩٢٠ اصدر كتاب (العواصف) مزيداً من الشعر المنشور .

وبينما كان (جبران) يوغل في الكتابة بالشعر المنشور ويتخلى عن كتابة القصة كان (الريحاني) قد تخلى عن الشعر المنشور واتخذ طريقاً جديداً .

وهذه مرحلة التحول لدى الكاتبين : بدأ جبران بالقصة ثم تحول عنها الى الشعر المنشور

جبران يعتبرون ثورته واضطرابه واندفاعاته العاطفية التي هاجمها امين الريحاني وكثير من النقاد انما تعود بصفة اساسية الى هذه البيئة . فضلا عما وجده مسن فسوة الحياة من بعد ، حين عاش على ابرة اخته واصابة الاسرة واحدا بعد الاخر بمرض السل . هذا بالاضافة الى حياة والده السكر الذي واجهته اول ما فتح عينيه على الحياة .

غير ان جبران لم يلبث ان سافر الى بوسطن ١٨٩٥ في الثانية عشرة ومن هناك ذهب الى باريس للتخصص في الرسم ١٩٠٨ فظل بها الى ان عاد ١٩١٢ حيث اقام بقية حياته بين الشعر والقصة والرسم والكتابة بالعربية والانجليزية . وحياة طافحة بالبهيمية والمرأة وعشرات من الاطوار الغريبة . وليس هذا غريبا على « الفنان » الذي اضطرب بين مختلف صور الحياة وتجاربها ومشاعرها يصورها في عباراته هذه من كتاب العواصف :

« اسكت يا قلبي فالفضاء لا يسمعك

اسكت يا قلبي فالانثير المثقل بالنواح والعويل لن يحمل اغانيك

واناشييدك

اسكت فاشباح الليل لا تحفل بهمس اسرارك ومواكب الظلام لا

تقف امام احلامك .

اسكت فالفضاء قد اتخمته رائحة الاشلاء فلن يتشرب انفاسك

اسكت يا قلبي حتى الصباح فمن يتربح الصباح متجلدا يعانقه

الصباح مشتاقا ..

أنور الجندي

القاهرة

شعر

من منشورات دار الاداب

فدوى طوقان	وجدتها
فدوى طوقان	وحدي مع الايام
فدوى طوقان	اعطنا حبا
شفيق معلوف	عيناك مهرجان
سليمان العيسى	قصائد عربية
صلاح عبد الصبور	الناس في بلادي
احمد عبد المعطي حجازي	مدينة بلا قلب
عبد الباسط الصوفي	ايات ريفية
سليمان العيسى	رسائل مؤرقة

دار الاداب

بيروت - ص.ب ٤١٢٢

والريحاني كانت قوية غاية القوة بينهما الى سنة ١٩١٨ حتى انتهت الحرب العالمية فدخلت السياسة تفرض خيوط تلك الشبكة وتعمل على تقطيعها . وقال امين لشقيقه البرت: « ان هناك عقدا في خلق جبران ليس التقرب منها بالامر اليسير ، فحبران ما كان يرضى نقدا . ولا كان يرى لغيره من رأي ، وكان يعمل ما يوسع ليرى الناس تقوم على تمجيده وهذا ما ابعديني عنه » .

وقال : « انني احب اديه وفنه مع كراهيتي لميوعة الادب ، وقد صارحته يوما وطلبت اليه ان يتخلى عن تلك الميوعة في اديه فنفر من ذلك النقد نفورا عجيبا واضطرب اضطرابا لم يخطر لي على بال ولم يقطع ذلك حبل الصلة . « حتى كان الواقع في نهاية الحرب العالمية الاولى في حفلة اقيمت لتكريم سفير فرنسا في نيويورك وكنا من متكلمي الحفلة . وكشف جبران عن سياسة لبنان المنكمشة وصارحت انا بسياستي العربية الشاملة وصار نقاش في الموضوع وكلام لاسع فيما بيننا ، فكان ذلك فصل الخطاب ومن ذلك الوقت لم التق بجبران ولا هو التقى بي السى ان توفي » .

اما جبران فانه انصرف منذ ١٩٢٠ الى التأليف باللغة الانجليزية ، وكان هذا الخلاف بين جبران والريحاني سببا في عدم اشتراك الريحاني في الرابطة القلمية وان اشترك في التحرير في الصحف العربية التي صدرت اذ ذلك : كالفنون والسائح والهدى ومراة الغرب .

توفي جبران في ابريل ١٩٣٠ بينما عاش امين الريحاني الى سبتمبر ١٩٤٠ وقد تحول الامر بالنسبة للريحاني بعد وفاة جبران فقد رثاه بخطاب طويل :

جبران اخي ورفيقي وحبيبي .

ان للشهرة يوما وللحزن يوما والباقي للبنان . لهذا الجبل العزيز الكريم الحنون الذي يضمك اليوم وغدا يضمني اليه . ان ترابي غدا ، في الفريكة بنادي ترابك في الوادي المقدس .

...

حمل الارث القديم الى ما وراء البحار فزاد البعد صدى الاصوات جمالا وزادت الغربة بجلال المآثر والذكريات .

لقد رحل وما هجر . حمل الوطن في قلبه . وقبل ان ينضج الشبوغ كان الحمل في الغربة ثقلا . بل كان فيدا لنفس طماحة مكدة .

رايته في باريس مدينة النور يحيى الليالي على نور سراج ضئيل . ورايت بنات تموز - نسوة الخيال - يظفن حوله في سميرات باريسيات ورفيقات امريكيات ، فيزدنه بهجة وشوقا وألما ووجدا .

كانت الروح المستيقظة ترد موارد الفن والجمال وهي محفوفة بالاطياف وخفقاتها في المناحف والملاهي وفي البساتين والحانات .

اقام جبران عشرين سنة . وهناك صارح العناصر التي كانت تتنازع فيه الروح والعقل والفؤاد . كان سلاحه سيفين من الشرق ومن الغرب ، فشحن الواحد على ما تصلب في قلبه وصل الساني بنوب العقل والروح ... » .

هذا حديث ما كان بين قطبي الادب المهجري . اما الحديث عن اسلوب جبران وفنه والنقد الذي وجه اليه واثر اديه في ادب المهجر وفي الادب العربي المعاصر فذلك له موضع اخر غير اننا نحاول ان نوجز صورة حياته .

فقد ولد جبران عام ١٨٨٣ في بيئة مقترنة مضطربة كان لها ابعدا الاثر في اتجاهاته الفكرية ، بل ان كثيرا من مؤرخي